

شكرى فيصل العالم الأديب الذى لم تنصفه أمتة

الكاتب : محمد مطعى الحافظ

التاريخ : 19 أغسطس 2014 م

المشاهدات : 8162



الدكتور شكرى بن عمر فيصل علامه أديب بحاثة، أمين عام مجمع اللغة العربية بدمشق، ولد بدمشق بحي العقيبة (1337هـ / 1918م). نشأ برعاية خاله العلامة الشيخ محمود ياسين، وفي مدرسته مدرسة التهذيب الإسلامي كان خاله مربياً وموجهاً

درس بالمدارس الرسمية ومكتب عنبر، ودرس خلالها على الشيخ أبي الخير الميداني، والشيخ محمد سليم الحلواني، وانتفع بخزانة خاله العاملة بالمؤلفات الجليلة. وبعد حصوله على الثانوية العامة التحق بكلية الآداب بالقاهرة وحصل على شهادتها سنة 1361هـ / 1942م، واشتغل بمهنة الوراقة خلال دراسته، ثم انتسب إلى كلية الحقوق بدمشق وحصل على شهادتها سنة 1366هـ / 1946م، وعيّن في لجنة تعديل برامج التعليم، ثم أوفد إلى القاهرة للتحضير للدكتوراه، فالتحق بها وعمل ملحاً ثقافياً لدى الجامعة العربية. وحصل على شهادة الماجستير سنة 1368هـ / 1948م، ثم في السنة التالية نال دبلوم معهد اللهجات العربية، وتقلد درجة الدكتوراه سنة 1371هـ / 1951م، وعاد ليعمل في لجنة البرامج التعليمية وأستاذًا مساعدًا في كلية الآداب، ثم صار أستاذًا سنة 1376هـ / 1957م وأخذ يكتب في المجالات منذ شبابه، وانتسب إلى عصبة العمل العربي وصار يكتب في جريدة، ورشح نفسه للانتخابات النيابية عن مدينة دمشق سنة 1954م إلا أنه لم يحصل على الأصوات المطلوبة، وانتخب عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية ثم انتُخب أميناً عاماً سنة 1392هـ / 1972م، وعهد إليه برئاسة لجنة تاريخ ابن عساكر وطبعاته، وشارك في ندوات ومهرجانات كثيرة. ثم عُين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أستاذًا ومشرفاً على رسائل الدراسات العليا، وترك مؤلفات كثيرة منها: (الفنون الأدبية) و(مناهج الدراسة الأدبية) و(المجتمعات الإسلامية في القرن الأول) و(حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول) و(تطور الغزل من الجاهلية والإسلام) إضافة إلى دراسات كثيرة.

بعد هذا التعريف الموجز وبعد هذا العطاء الكبير والمفيد، كان كثيراً من عرفه وعاشره مخلصاً له ووفيأً، ولا يخلو الإنسان من الحساد خاصةً لمن تميّز بمواهب أكرمته الله بها كالدكتور شكري. إلا أن الكثير من معاصريه وصفوه بعبارات التقدير والوفاء والإنصاف ومنهم الشيخ علي الطنطاوي، الذي قال: (كان شكري فيصل عصامياً، خاض لجة الحياة قبل أن يستكمل عدّة خوضها، وجرب الطيران صغيراً قبل أن ينبع ريش جناحه، فما زال يضرب بهما يقوم ويقع ويرتفع ويقع، حتى قوى الجناحان، وامتدت قوادمهما، وقويت خوافيهما فعلاً وحلاً)، وقال عنه صديقه الدكتور عدنان الخطيب: (كان شكري فيصل أدبياً موهوباً، وناقداً قوياً العارضة، بالغ الحجة، واضح التعبير، سهل المفردات). وقال الشيخ محمد بن لطفي الصباغ: (فارس من فرسان الكلمة، وعلم من أعلام الأدب، ومجمعي نشيط معروف). وقال الأديب عبد الغني العطري: (شكري فيصل نجم ساطع في سماء الأدب، كوكب متألق في عالم الفكر، وبلبل على دوحة الضاد، شعلة متوجحة وضاءة، علم شامخ وقمة في الأدب واللغة والأخلاق والتواضع).

بعد هذا الوصف من كبار معاصريه أحب أن أعرض فيما يأتي بعض ما رأيته منه من صفات قل أن نجد لها في شخص واحد وذلك بعد اتصالي به في الجامعة، والمجمع، والبيت، والحي والسفر والغرفة فقد كنت أولاً تلميذاً عنده، درست الأدب على يديه، وتعلمت تحقيق التراث بتوجيهاته وإرشاداتاته. واقتبس من أخلاقه وسلوكي الشيء الكثير ثم أصبحت كأني واحد من أسرته وأهله، فكان يعاملني معاملة الصديق لا التلميذ، والمحب والعظوف...

في مجمع اللغة العربية بدمشق:

كان شكري فيصل أستاذنا عضواً معمرياً عاملاً معطاء، لم يترك أي مجال في سبيل رفع راية المجمع خفافة في كل الأقطار العربية والأجنبية ممثلة بحضوره المؤتمرات اللغوية وندوات التعرّيف، وعندما انتخبه المجمع أميناً عاماً له، شهد حركة غير عادية في نشر التراث، ظهرت في مطبوعات المجمع كتب كثيرة قيمة من أمهات كتب التراث، امتازت بعدها الكبير

ونوعيتها، فكانت مفخرة لعهده المبارك.

صفاته وأخلاقه:

إذا أردنا الحديث عن سلوكه الشخصي فإننا نجده قد تميز بأمور قل أن نجدها عند غيره. منها: بره بوالديه، ومنها وفاؤه - وهذا الخلق أصبح نادراً - وخصوصاً في هذا الزمن المتأخر، فقد خص أمّه التي ربته وحاله الذي علّمه ووجهه، وخصّ أساتذته الذين علموه سواء في مكتب عبر أو في مصر بأفعال تدل على وفائه لهم قبل المقال.

ويجب أن لا ننسى تواضعه الذي تميز به وكان خلقاً عفويًا فيه، عرفه عنه الناس كلهم صغيرهم وكبيرهم، وكانت الابتسامة على وجهه الذي تقرأ فيه الطيب والبراءة والفطرة السليمة.

ومن صفاته المتميزة: الإثارة فقد شغلته هموم أمّته وواعتها عن نفسه، فكان دائم التفكير بسعادة أسرته ومن حوله من أهله وجيرانه وأصحابه خاصةً، ووطنه وأمّته عامةً.

ومن مميزاته رحمة الله أسلوبه الأدبي فما لا شك فيه أن أستاذنا تميز بأسلوب خاص في الكتابة يشبه أن يكون الطابع عليه، بصفاته التي تأخذ القارئ في مدارج في البلاغة قلماً أتيحت لكثير من أهل العلم والأدب من أقرانه الذين لم يتمكنوا من موهبة الكتابة.

ويعرف المقربون من أستاذنا أن قلمه سيال، ينساب بين يديه، طبع لا يخذله متى شاء، يمتح فيه من معين ثر، وذخيرة غزيرة، تسعفه الفكرة من جهة، وفي العبارات الجميلة المرصوفة بعضها إلى بعض من جهة أخرى.

ذلك أنه تخرج في فن الكتابة بمدرسة مجلة الرسالة ومجلة الثقافة، واطلع على تلك الأساليب ولاقت تلك الأساليب تربة صالحة أنبتت أسلوباً كأسلوب الدكتور شكري وأثرت.

كان شكري فيصل علماً كبيراً، وقمة في الأدب واللغة والفكر والوطنية والأخلاق والتواضع والخلق الرفيع، مع المحافظة والتمسك بقيم الإسلام ومبادئه.

كان أستاذنا جامعاً مبدعاً، ومجهماً خالداً، ومفكراً عبقرياً، أعطى الكثير لأمته، تخرج على يديه أجيال، واستفاد منه الكثiron، ووجه وريئ، وقدّم خدماته لمن يعرف ولم يُعرف.

كان بأسلوبه الأدبي ينطلق ليحقق ما يريد للآمة عن طريق العلم المفيد الذي ينهج النهج الإسلامي الصحيح، كان يبدأ هذا بنفسه وبأهلـه وبينـه من محبيـه وتلامـذـته.

لهذا التميز والإبداع والخلق كثر حсадـه، وكلـما زادت مزاياـه كـثـر حـسـادـه، وكلـ صـاحـبـ نـعـمةـ مـحسـودـ. وـحاـولـ حـسـادـهـ أـنـ يـفسـدـواـ عـلـيـهـ حـيـاتـهـ، فـلـمـ يـقـدـرـواـ، وـلـمـ يـكـنـ يـلـفـتـ إـلـيـهـ، لـأـنـ لـمـ يـكـنـ لـدـيـهـ وـقـتـ يـنـفـقـهـ فـيـ التـرـهـاتـ. وـلـكـنـ الـآـمـةـ لـمـ تـعـرـفـ قـدـرـهـ، وـلـمـ تـعـطـهـ حـقـهـ مـنـ الـوـفـاءـ وـالـعـرـفـانـ الـجـمـيلـ، وـكـادـ فـضـلـهـ أـنـ يـنـسـىـ، وـهـذـاـ بـلـ شـكـ جـحـودـ وـنـكـرـانـ لـلـجـمـيلـ، لـأـنـ بـذـلـ النـفـسـ وـالـنـفـيسـ فـيـ سـبـيلـ إـسـعـادـ الـآـخـرـينـ وـتـقـيـفـهـمـ وـتـوجـيهـهـمـ وـتـرـبـيـتـهـمـ.

هـذـاـ جـزـءـ يـسـيرـ مـاـ يـجـبـ أـنـ ذـكـرـهـ عـنـ شـمـائـلـ أـسـتـاذـنـاـ رـحـمـهـ اللـهـ، وـلـأـجـدـنـيـ أـوـفـيـهـ حـقـهـ، وـلـأـقـوـمـ بـجـزـءـ مـمـاـ لـهـ عـلـيـهـ مـنـ فـضـلـ وـمـنـنـ، فـمـاـ هـذـهـ إـلـاـ سـطـورـ وـفـاءـ أـقـدـمـهـاـ لـرـوحـ أـسـتـاذـيـ بـيدـ خـجلـ وـقـلـبـ مـضـطـرـبـ، لـعـلـهـ يـرـضـيـ عـنـيـ وـهـوـ فـيـ سـكـيـنـةـ مـسـتـقـرـهـ الـطـاهـرـ فـيـ بـقـيـعـ الـغـرـقـ.

رحمـكـ اللـهـ أـلـيـهاـ الشـيـخـ الـجـلـيلـ، وـأـنـسـكـ فـيـ مـثـواـكـ الـذـيـ نـزـلتـ، وـأـنـزلـ عـلـيـكـ سـابـعـ رـضـوانـهـ، وـغـفـرـ لـكـ، وـرـفـعـ مـنـزـلتـكـ فـيـ الـفـرـدـوسـ الـأـعـلـىـ.

صلاتي الشخصية به:

تَعُودُ صِلْتِي بالأسـتـاذـ الدـكـتـورـ شـكـريـ فـيـصـلـ رـحـمـهـ اللـهـ إـلـىـ زـمـنـ بـعـيدـ، فـقـدـ اـمـتـلـأـتـ مـنـهـ عـيـنـيـ عـنـدـمـاـ كـانـ بـيـنـ الـحـيـنـ وـالـآـخـرـ يـزـورـ حـيـنـاـ – حـيـ الـعـقـيـةـ – الـذـيـ نـشـأـ فـيـ زـمـنـ صـبـاـهـ، لـيـصـلـ أـرـحـامـهـ، وـيـتـصـلـ بـكـبـارـ أـهـلـ الـعـلـمـ وـالـؤـجـهـاءـ، كـالـشـيـخـ أـبـيـ الـخـيـرـ

الميداني والشيخ عبد الوهاب الحافظ (دبس وزيت) والشيخ محمد سعيد البرهانى وآل الحلواني وغيرهم من الأعيان، وكان مقدمه يلفتُ الأنظارَ حقاً، ويُثيرُ الانتباه إليه، بما كان يلقى الناس بالشاشة والكلام الطيب الذي كنتُ أسمعه منه يخرج من فمه على استحياءٍ، وبنبرةٍ متواضعةٍ لم تكن لتقلل من قدره بين الذين يتربّدُ عليهم، وإنما كانوا يبادلونه الود بالود، ممزوجاً بالاحترام.

فلما وجدتني في جامعة دمشق، وأنا في أيامِ الأولى فيها طالعني فجأةً شخصٌ أستاذنا، فخفق قلبي لمنزلته السامية في نفسي، ولكن عاد لي روعي سريعاً لما أعرف من شمائله، فتقدّمتُ إليه أحبيه، وسرعان ما رحب بي، وسألني عن دراستي ومنهجي فيها، ثم دعاني إلى بيته ليرشدني إلى الطريقة المثلثة في دراسة الأدب. وسرعان ما نشأتْ بيني وبينه من دون سائر الطلاب علاقةً كأنها تمتّد من زمنٍ طويلٍ، هذه العلاقةُ متّنّتها الأيامُ، وونفتُ غراها على صغر سنّي وقدري، وعلى كبر مكانته وسعة علمه وفضله، ووجدتني تلقاءَ رجل أخذتُ أزداد إكباراً له كلما امتدت السنوات، بالمقارنة مع ما كنا نلقاء من جفاء بعض الأساتذة وشدةِ تهم.

وتقلىبتُ الأيامُ، فإذا بي أرتبطُ به في كثيرٍ من المناسبات، وإذا به يشجعني على العلم والدأب والتحصيل والعمل ما وجدَ إلى ذلك سبيلاً، ثم شاءتِ المقاديرُ أن أعملُ في (مجمع اللغة العربية) بتزكية منه يوم كان العضو البارز المنتج فيه، وأمينه المؤتمن، فشدني إليه، وضمّني إلى لجنة تحقيق كتاب (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر، فتلمذتُ له في التحقيق وأصوله، وتعلّمتُ منه أشياء لم يدخل بها عليَّ، وأخذتُ منه كلَّ الفائدة، ودفعني إلى عالم التأليف والكتابة والتحقيق... فأمضيتُ في كنفه سنوات ممتعة ومفيدةً، كان فيها تفتّхи وتخرّجي.

ثم تقلىبتُ به الأحوالُ رحمه الله بعد أن أحيلَ إلى التقاعد من الجامعة، فعاني من حسد الحاسدين وكيد الكائدين، وازدادتْ مصائبُه، فصبر واحتسب، وكان ينتظر الفرج وهو يقول: انتظار الفرج عبادة، ولكن هذه الأمور أخذتْ منه هدوءه، ونزعتْ استقراره وطمأنينيته، فأثر ذلك في صحته فتدھورتْ، ولم يكن آنذاك قد طعن في السنِّ، ولا أوغلَ في العمر، ولكنَّ الهمَّ يخترمُ الجسمَ، وبهزلُ القوى، وبهرمُ الشابَ النشيطَ.

لم يتوقف شكري فيصل عن العمل، وكان مطلوباً في الجامعات كإليها، تخطّبَ وده وترىده، وتغريه بكلِّ مغرياتها، وجفاه منْ كان يدعّي صداقته في ساعات العُسر، وتنكّر له عارفوه، فيمَّ وجهه شطرَ مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أستاذًا للدراسات العليا في جامعتها الإسلامية، يعطي – ولا يتوقف عن العطاء – بكلِّ ما يستطيع، وبقيَ يتربّدُ إلى دمشق لحبِّه الشديد لها، ولزيارة أرحامي وأقاربي.

وفي المدينة المنورة كان لقائي الأخير به في بيته خلال موسم الحج لعام (1404هـ / 1984م) وكان قد أخذ منه الإعياء مأخذَه، وأشفقتُ عليه، وأظهر لي من المودة والتواضع آنذاك ما لم أجده منه مثيلاً من قبل، وشعرتُ وكأنَّ هذا اللقاء لقاءً مودع، وكانتُ أكذبُ ظني أو أطلبُ من الله أن يكذبَ ظني.

وفي ذلك اللقاء كتبَ مقدمةً تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، الذي اشتراكْتُ في تأليفه مع أخي وصديقي الدكتور نزار أباظة... وكان ذلك من أواخر ما كتب لأنَّ قلمه توقفَ بعد ذلك، وجفَ مداده.

وصعبني النبأ المؤلم، الذي وافى أهله بدمشق يعني أستاذنا الجليل الذي لم يتحمل جسمُه مباضعَ الجراحين السويسريين، وتوقفَ القلبُ الكبيرُ عن الخفقان ليلةَ السبت (1405هـ / 17/11/1985)، ونُقلَ من جنيف إلى المدينة المنورة في (10/8/1985) ليُرقد بجوار الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بقيع الغرقد آمناً مطمئناً مع الدين أنعم الله عليهم من الصحابة والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وبقيت ذكرى الأستاذ الجليل تسري في عروقي مع دمائي، تزداد ألقاً يوماً بعد يوم، وأنا أذكرُ شمائله العطرة، وأخلقه الطيبة، لا يغيبُ عن عيني شخصُه المحبوب، ولا تتبدّد طلعته البهية، ولا تنمحي بسمته البريئة وبقي في نفسي أنموذجاً

يُحذى للعالم المخلص الصادق الغيور، والمربي الرؤوف، والصديق الصدوق، إذ كان علمًا شامخاً أبداً في كلّ مرحلة من مراحل حياته، وفي كل حال من أحواله، وفي كل شأنٍ من شؤونه.

دراستي للأدب على يديه:

لعم نجم أستاذنا في قاعات التدريس، وأقبل عليه الطلاب وأحبوه الحب الخالص، وأصفاهم وده، حتى قامت بينه وبينهم علائق لا تكون إلا بين الأساتذة المخلصين وطلابهم الأذكياء.

يوم كنا طلاباً في الجامعة نجدد بين يدي أستاذنا كنا نرى أنموذجاً من الأساتذة يختلف عن سائر الأساتذة الذين كانوا نهايهم لحزمه، فلة قليلة من أساتذة الجامعة في الستينيات كانت تلقانا بما كان يلقانا به الدكتور شكري فيصل رحمه الله.

إذا سألتَ عن العلم فإنك واجده عنده، وإن فتشت عن المحبة تنزلت عليك منه، وإن رغبت في الأسلوب الممتع في التدريس وقعت عليه عنده، كانت دروسه في النقد والنصوص والتحليل الأدبي متعة خالصة، وهي بعد دروسه ليست بالهينة ولا السهلة، تحتاج إلى إعمال فكر، وإلى جهد، وإلى تذوق، وإلى أشياء أخرى، لم يكن الطالب يجدُها في كتاب، وإنما ربأها فينا أستاذنا تربيةً، ونشأنَا عليها تنشئةً، حتى بُرِزَ فينا ناسٌ كانوا صنيعاته، ترسّموا خطاه، وعرفوا في الجامعات العربية. ومنْ هنا أقبلَ عليه طلابه، جلسوا في قاعة درسه مرتاحين، فهموا من غير مشقة، وناقشوا دونَ خوف، وحفظوا على السجية، وأدوا امتحاناتهم ببساطة – لم ترعنَ المفاجآت التي تطلع عليهم من بعض الأساتذة أو من جلهم – ونحوها عن استحقاق ومكنته.

كان أستاذنا منفتحاً مع طلابه تمام الانفتاح، لم يقطّب في وجوههم، ولم يُسمعهم قارص الكلام، ولا عنفهم، ولا أساء إلى أحدٍ منهم، وما ارتفع صوته على أحدٍ، ولا هدد طالباً، ولا أخزى طالبةً على الملا... فأقبلوا عليه، واعتزو بالانتساب إليه. كان درسه متميّزاً في كلِّ ما يقدم من مواد في النقد والبلاغة ودرس النصوص الجاهلية والإسلامية، فاستمتعنا بشعراء كثيرين، فمن طريقه عرفنا النابغة وليله، وأحببنا شاعرَ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَانَ بْنَ ثَابِتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَبَّهُ ومديحه للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك من خلال تحليله لما قدّم إلينا من نصوص.

كان يعالج النصوص معالجة ذاتَ حياة، ينفعُ فيها الحياة فيبعثها من بطون الدواوين، وينثرها أمامَ الطلاب، فتتألق بين يديه وتتوهج، يقف عند المعاني المهمة فيها، ثم يطرحُ أسئلةً حولها كثيرة... كثيرة جداً، لم نكن ندري كيف يستخلاصُها أو يخترعُها... حتى إذا فرغت جعبته من الأسئلة، ولعلها لا تفرغ عاد فأجاب عنها بما تستحقُ من تفصيلٍ أو إيجازٍ، مشيراً إلى النواحي الجمالية الفنية، يلقي عليها الضوء أو يقفُ عندها، ويُمْتنعنا بها، فإذا بنا نراها بالعين التي لم نكن نراها بها، وإذا بنا نقدرُ النابغة ونخرُّ به، ونعتزُّ بحسان ونحبّه، ونعرفُ أقدارَ الشعراء ومنازلهم.

وتعرّضَ لنصوص عن الأصفهاني في كتابه (الأغاني) يغمز بها من قناة حسان رضي الله عنه، فيتهمه بالجبن والخوار، ويسوقُ نصوصاً كنا نظنُّها – لقصر باعنا آذاك وقلة اطلاعنا، وحسنٍ ظننا بالأصفهاني وهو مَنْ هو؟! – أنها مما لا نقاش فيه، خصوصاً وأنَّ راويها صاحبُ الأغاني، يسوقُها بالسند على ألسنة الرجال.

وتوقف أستاذنا عند تلك النصوص، ونقدّها النقد العلمي، فتهاوت بين يديه وتفتّت، فبَيْنَ أن شعراء قريش سكتوا للشعر حسان فأخرسهم، وأنَّ شعره كان أشدَّ عليهم مِنْ وقْعِ النبال، وأنَّ سلاحَ الكلام والإعلام في المعركة كان أشدَّ من سلاح الحديد والعضلات... وأنَّ قريشاً كان تجتهد في قتل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإسقاط الدينِ الجديد، وأرسلتُ إليه أكثر من مرة مَنْ يبتغي قتله وأنَّ حساناً كان مطلوباً، وأنَّ قتله أهونُ من قتل النبيِّ عليه الصلاة والسلام بمراتٍ كثيرة، وهو إذ يعرفُ ذاك فلا يكُفُ عن مقارعة أعداء النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنْ كان يهابُهم لسكتَ، وفتنه عن ميدان المعركة، ولكنه شفي واشتفى، ودعا له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونصبَ له منبراً في المسجد ينشدُ الناس، وقال: إنَّ جبريلَ معه يؤيّد ما نافحَ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذكر أستاذنا رحمة الله أنَّ الشجاعة كانت سمة الصحابة، وإن تفاوتوا بها، ليس فيهم جبانٌ، ولم يكن الوسط آنذاك ليرضى عن جبانٍ يذهبُ ويروح. ولو كان في حسانٍ جبنٍ لما رضي عنه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن دعا له أنْ يذهبَ عنه جبنٍ، ولكنَّ آفةً كانت في يدِ حسانٍ – فهو مقطوع العصب – لم تكن تمكنه من حمل السلاح.

وتقومُ النصوصُ في نفوسنا بتلك الأطر التي يضعُها أستاذنا فيها، فإذا بنا ننفعلُ بها ونتفاعلُ، وإذا بنا نحسُّ بها إحساساً، فلما أحمسنا بمثله من قبل. ولકأننا نرى النابغة يقفُ في سوق عكاظ تحت قبة الحمراء يستمعُ للشعراء يحكّمونه في جديدهم، ولأننا به يقف بين يدي الملك النعمان، يمدحُه، فيستفيضُ في مدحه، أو يهأه بعد ذلك فيهربُ، ويطولُ ليله فلا ينام فشققُ عليه.

ويحلُّ أستاذنا بطريقَةٍ شيقَةً أسلوبَ غضب النعمان على شاعره المجلَّى، ويسوقُ أسلوباً كثيرةً، فيرفضُ بعضَها، ويرجحُ أخرى، مستعيناً بالنصوص النثرية والشعرية والأخبار حتى يقيم في ذهنه ما يستقيم للحجة.

ومن أعظم ما اقتبسه بعضُنا من أستاذنا الدكتور شكري أسلوبُه في الكتابة التي كان يميلها علينا حينما يحلُّ النصوص ويدرسُها. كانت الجملُ بين يديه كالعجينة يقطّعها، ويكورها، ويمدها، ويسطّها، لتكونَ جاهزةً للخبز، وكالصلصال الطريّ يقومُ به الفاخوريُّ، يبدعُ منه كلَّ آنية جميلة.

ولم يكن أستاذنا حين ي ملي علينا يقرأ من كتاب، أو يطالعُ من دفتر، أو يقتبس من أوراق، وإنما كان يمتحن من ذهن وقادِر، ولسان قوله فصيحٌ، يهدُ هدراً، لا يكادُ يقفُ أو يتريث إلا من أجل أن نكتبَ نحن الطلاب، الذين كلُّ أصابعنا من الكتابة السريعة، فنخشى أن تفوتنا كلمةٌ مهمةٌ، أو جملةٌ مفيدة.

ومع هذه المتعة، ومع هاتيك البشاشة، ومع ذلك الانبساط في المعاملة والحديث، لم يكن أستاذنا لي جانبَ الوقار والسيطرة على الدرس، وما كان يجرؤ طالبٌ أو طالبةٌ أن يتقوه بكلمة خارجية عن الموضوع أو مزاج غير مقبول، أو تصرف لا يليق، لأنَّ الجميع عرفوا أنَّ مع ذاك اللين قوَّةً هي قوة القادر المتمكن، حتى إنك لا تستطيع أن تسمع همساً.

ومن هنا كانوا إذا تحلّقوا حوله بعد انتهاء الدرس، ووافوه بما عندهم من أسئلة طرحوها بأدب جمّ، وأصواتٍ منخفضة، ووجوهٍ حبيبة .. واستمعوا للإجابة بكل اهتمامٍ، وناقشوها بكل احترام.

ومن هنا تخرجَ معظمنا حين تخرّجوا ليتسلّموا وظائفهم في الثانويات أو الجامعات، فكان كثيرٌ منهم يتمثّلون شخصية أستاذنا مع طلابهم، ويحاولون أن يكونوا مثله، يقتدون به. فكان منهم مدرّسون وأساتذة ناجحون.

وأيقناً جميعاً أنَّ أستاذنا قبلَ أن يحمل لهم العلمَ، قدّم لهم التربية، وربّي فيهم الخُلق بحاله قبلَ مقاله(). رحمة الله وجزاه عنَا خيرَ الجزاء.

د. محمد مطيع الحافظ

دبي 16 رمضان 1435 هـ

15/7/2014 م

المصادر: